أهم الحروب التي خاضها أهالي العمادية (ئاميدي)

بسار شالي

أماد – ئفاهيا (مدينة الشعب الميدي)، هكذا كانوا يسمونها في الماضي السحيق، وبمرور الزمن تغير الأسم على السنة الناس ليصبح اليوم أسمها باللغة الردية (ئاميدي) أو ما يسمونها باللغة العربية (العمادية) نسبة إلى عماد الدين الزنكي الذي أحتلها وجدد بنائها، هذه الأسماء القديمة والحديثة وباللغات المختلفة أطلقت على مدينة عريقة في التاريخ والتي تعتبر ثاني أقدم مدينة في كردستان بعد مدينة أربيل، من حيث كونها مأهولة بالناس منذ انشائها ومواصلة الحياة والعيش فيها لحد الآن، كما وتعتبر ئاميدي إحدى أقدم المدن في الشرق الأوسط، حيث أتخذها الميديين عاصمة لإمبراطويتهم بناءاً على أوامر وتعليمات زعيمهم ديو (ديوكسس) كما كتبها الأغريق سنة 731 ق.م، وليحكموا منها إمبراطورية واسعة جداً، وإن أي متابع للتاريخ وخصوصاً تاريخ الحروب القديمة وتكوين الإمارات والممالك والدول أو الإمبراطوريات القديمة، فإنه عندما ينظر إلى خارطة منطقة بهدينان بإقليم كوردستان العراق والمناطق المحيطة بها بشكل عام سوف يجزم بأن أي كيان قديم للأكراد كان سيتخذ من هذه الصخرة المرتفعة (مدينة ئاميدي) مكاناً أو قلعة حصينة لكي يكون مركزاً أو عاصمةً لحكم المناطق الأخرى، لما يتمتع بها من موقع فريد من حيث الإرتفاع وكذلك كثرة الأنهار التي تحيط بها والتي كانت بمثابة خطوط الدفاع الأمامية وهي في الوقت نفسه محاطة بسلاسل جبلية من كل الجهات، أي وفقاً للمفاهيم العسكرية القديمة إنها مدينة أو قلعة في غاية التحصين والمناعة وهو موقع مثالي لكي يتخذ منه أي قائد مركزاً أو عاصمةً لحكمه، ومن ناحية أخرى فإن أغلب مصادر التاريخ تؤكد بأن الشعب الميدي كان من الشعوب الهندوأوربية الذين سكنوا شرق بحر قزوين وهاجروا إلى شمال غرب هضبة إيران وإندمجوا بشعب قديم يطلق عليه (نه يار) وهم أبناء عمومة للشعب الميدي وقد سبقوهم إلى تلك المنطقة أي حوض نهر الزاب الكبير، (ولكي نبسطها للقارئ وبالمفاهيم والأسماء الحالية، فنحن نتحدث عن منطقة بهدينان وهكاري والتي تمتد إلى عمق كوردستان الشمالية حتى منابع نهري دجلة والفرات ويمتد شرقاً حتى جبل جودي)، وبعد تكوين أمبراطوريتهم توسعوا شرقاً حتى جنوب بحر قزوين، ويؤكد الكثير من مصادر التاريخ وكذلك أغلب المؤرخون بأن الشعب الميدي هم أصل الشعب الكردي الحالي وكانوا يعيشون في شرق وشمال الإمبراطورية الآشورية والتي سقطت بأيديهم سنة 612 ق.م، على يد ملكهم (كي اخسار)، كما أن أغلب الكتابات الآشورية المكتشفة تؤكد بأن أكبر تهديد للإمبراطورية الآشورية كان يتمثل بهجمات الميديين عليهم وأن أغلب ملوك آشور كانوا في حروب شبه مستمرة مع الميديين.

إذا من خلال ما سبق وإستناداً إلى التحليل المنطقي والواقعي ومن خلال مصادر التاريخ والخرائط الجغرافية الحديثة وكيفية إنتشار الشعوب وتكوين الحضارات، يظهر لنا أن الشعب الكردي هو أمتداد لشعوب قديمة عاشت وحكمت المنطقة منذ آلاف السنين أي بمعنى أن الكرد هم من سلالة الشعب الميدي الذي أندمج معه شعب نه يار★ الأقدم منه في

المنطقة، والذي حكم المنطقة إنطلاقاً من مركز الحكم أي مدينة ئاميدي (العمادية) التي سكنها الناس منذ أكثر من 2700 سنة ولحد الآن دون إنقطاع، وان أسم ئاميدي قد جاء من أسم الشعب الميدي كما ذكرنا سابقاً، وعلى الرغم من أن أمبراطورية ميديا قد خسرت الحرب مع (كورش الكبير) سنة 550 ق.م وبذلك غابة شمسها وانقطعت أخبارها إلا أن (ئاميدي) بقيت بيد الميديين حسب بعض المؤرخين، إلى أن أحتلتها جيوش أسكندر الكبير سنة 331 ق.م عندما أجتاح منطقة الشرق الأوسط وأسقطت الإمبراطوريات والدويلات الصغيرة، وكانت ئاميدي منذ ذلك التاريخ تحكمها عائلات كردية عريقة ومختلفة عبر مراحل التاريخ المتعددة، كانت خلالها تتمتع بإستقلالها التام في كثير من الأوقات، وسيطرة على المناطق المحيطة بها، وفي مراحل أخرى من التاريخ كانت تابعة لإحدى الدويلات أو الكيانات القوية في المنطقة أو لقوى إقليمية حكمت مناطق شاسعة في الشرق الأوسط، وبعد الفتح الإسلامي أصبحت جزء من الأمبراطورية الإسلامية.

ومن خلال مصادر التاريخ نستنتج أيضا أن مدينة ئاميدي (العمادية) مثل شقيقاتها في المناطق الكردية قد قامت بالعديد من الإنتفاضات ضد الحكام العرب المسلمين وجامعي الضرائب، إلى أن حكمها زعماء كرد من أبناء المنطقة الذين كانوا في حلفٍ مع السلجوقيين، كما أنها خاضت العديد من الحروب مع إمارة هكاري التي كانت تقع في شمال وشمال شرقي المدينة ويبدوا أنها سقطت ودمرت على يد الهكاريين في النصف الأول من القرن الثاني عشر.

ويذكر أبن الأثير في كتابه الباهر، أن عماد الدين الزنكي قام سنة 538 هـ /1142م ببناء قلعة عظيمة في بلاد هكاري (بلاد هكاري ما يسمى اليوم محافظة دهوك، أو منطقة بادينان)، على انقاض قلعة كبير لا مثيل لها في بلاد الكرد وسميت باسمها، وبعد فترة دمرها أمراء هكاري لعجزهم عن الإحتفاظ بها وإبقائها تحت سيطرتهم، وكلف عماد الدين الزنكي نائبه (نصر الدين جقر) بإكمال السيطرة على امارة هكاري، تمكن هذا الأخير من السيطرة على أغلب قلاع المنطقة منها على سبيل المثال: قلعة هرور وقلعة قمري، قلعة نيروه، قلعة ئاشيتا (أشت) والتي دمرها كلياً، بالإضافة الى العديد من القلاع الصغيرة والتي سواها بالأرض بناءاً على أوامر عماد الدين الزنكي لكي لا يستعملها الكرد ضدهم مرة اخرى، مثل قلعة (جەله قەسرى – بمعنى قصر القمة) في قرية (ألـه) الوقعة في منطقة (نيروه)، كما سيطر على جبل كاره وجبل متينا، وبعدها اتجه شمالاً وتمكن من السيطرة على المناطق الواقع بين العمادية وبحيرة وان، ووصل الى الحدود الأرمنية عند جبل ارارات.

وفي سنة 615 هـ الموافق 1218م، حاول حاكم مدينة الموصل بدر الدين لؤلؤ، إخراج مدينة ئاميدي (العمادية) من يد عماد الدين أبن نور الدين (وهو حفيد عماد الدين الزنكي الذي جدد بناء قلعة ئاميدي سنة 1142م على أنقاض قلعة عظيمة وقديمة لم يكن لها مثيل في جبال الكرد حسب وصف أبن الأثير)، وقام بفرض حصار على المدينة، إلا أن حاكم أربيل

مظفر الدين كوكبوري (وهو والد زوجة عماد الدين حاكم العمادية في ذلك الوقت) تمكن من الوصول إليها بجيشه في الوقت المناسب ودارت بين الطرفين معركة حامية أسفرت عن هزيمة بدر الدين لؤلؤ وفراره من المعركة بإتجاه الموصل.

هذا وقلما نجد في تاريخ المنطقة مدينة تعرضت للحروب والحصار مثلما تعرضت لها مدينة (ئاميدي) التاريخية، وقليلة هي عدد المرات التي سقطت فيها المدينة بأيدي الغزاة، وسبب ذلك يرجع كما ذكرنا في السابق إلى موقعها الحصين وإلى بسالة وشجاعة أهلها وإصرارهم على الدفاع عنها وتحمل الحصار الذي كان يفرض عليها أثناء المعارك، ولكون (ئاميدي) كانت قلعة أستراتيجية مهمة في المنطقة وكانت في الوقت نفسه، عاصمة لإمارة بهدينان التي دامت لأكثر من ستة قرون وكانت مركزاً لأمرائها، ولأن منطقة الشرق الأوسط بشكل عام والعراق ومنطقة كردستان بشكل خاص كانت منطقة صراع مستمر بين القوى الإقليمية والمحلية وكانت تجتاحها بين فينة وأخرى جيوش الطامعين والغزات من الشرق والغرب، فكان من البديهي أن تتجه الأنظار نحوها لغرض إحتلالها أو القضاء عليها.

ويمكن أن نلخص أبرز تلك المعارك التي خاضتها مدينة ئاميدي (العمادية) دفاعاً عن نفسها وعن إمارتها (إمارة بهدينان)، وحسب التسلسل الزمني بما يلي:

•في سنة 1400م، حاول تيمورلنك إحتلال ئاميدي عندما أجتاح جميع الدول والإمارات في منطقة الشرق الأوسط، بعد أن كان أميرها عماد الدين بك أظهر ولائه لتيمورلنك سنة 1394 وجعله هذا الأخير ملكاً على الكرد، إلا أن طاعته لتيمورلنك لم تكن لفترة طويلة بل كان تكتيكاً مرحلياً تطلبهتا معطيات العصر، ويذكر أن قوات تيمورلنك فشلت في أحتلال ئاميدي.

•في سنة 1470م، إنتصر الأمير (حسن بك) أمير إمارة بهدينان على جيش دولة (آق قوينلو) الخروف الابيض والتي كانت عاصمتها دياربكر، والذي تقدم نحو العمادية (ئاميدي) لغرض احتلالها، وكان هذا الجيش بقيادة (سليمان بك بيزن) حيث حاصر هذا القائد مدينة العمادية ولكن الأمير (حسن بك) استطاع بذكائه الخارق وخبرته توحيد وتنسيق الجهود داخل القلعة (ئاميدي) وقوات الإمارة في قلاع الإمارة منها (قلعة نيروه وقلعة أرز وقلعة شوش)، بالإضافة إلى التنسيق والتخطيط مع قوات عشائر بهدينان المنطوية تحت جناح الإمارة، ومهاجمة جيش الخروف الأبيض والإنتصار عليه، ليحقق بذلك الإستقلال التام لإمارة بهدينان وجعلها من أقوى إمارات المنطقة وإستأصل بذلك شوكة دولة (آق قوينلو) من المنطقة.

•في سنة 1629م، قام أحمد خان الأردلاني بهجوم واسع على عشيرة الداسنية في إمارة بهدينان ونتيجة لذلك أرسل الأمير يوسف خان بك الأول (1629م – 1632م) أمير بهدينان جيشاً بقيادة عمه لصد الهجوم الأردلاني لكنه فشل في صد الهجوم، مما حدى بأحمد بك الأردلاني إلى أن يوسع هجومه على إمارة بهدينان وأن يتجه نحو عاصمة الإمارة (ئاميدي)، وإستطاع أن يحاصرها لفترة من

الزمن إلا أن مـرض الطاعون أفتك بالكثير من جنوده مما دفعه الى الإنسحاب والعودة إلى ديـاره، ويوجد لحد الآن في أطـراف مدينة ئاميدي مقبرة لأولائك الموتى من جنود الجيش الأردلاني الذين ماتوا بالطاعون وتسمى مقبرة (سوران).

•في سنة 1718م، قام والي بغداد حسن باشا (1704م – 1723م) بقيادة حملة عسكرية على إمارة بهدينان بحجة وجود الإضطرابات فيها، ويـبـدوا أن والـي بغداد التابع للدولة العثمانية إستغل الصراع الدائر في الإمارة بين أمير الإمـارة بهرام باشا وشقيقه سعيد بك، وتلبية لطلب الأخير من والي بغداد مساعدته، والـذي لم يـتردد في تلبيته لأنـه يتماشى مع سياسات الدولة العثمانية في إضعاف الإمارات الكردية وتأجيج نار الفتن بينها لكي تتمكن في النهاية من السيطر عليهم دون عناء، حشد والي بغداد قواته وتمكن من الوصول إلى ئاميدي ومحاصراتها بغية الدخول إليها، إلا أنها فشلت في ذلك ولم تتمكن من إحتلالها نتيجة لمقاومة قوات وأهالي العمادية (ئاميدي) بقيادة أميرهم بهرام باشا الكبير، وفي النهاية أنسحبت قوات والي بغداد حسن باشا من أراضي الإمارة تحت ضغط قـوات بهدينان التي جـاءت من القلاع والمناطق المختلفة من الإمارة.

•كانت العلاقة بين والي بغداد أحمد باشا أبن الوالي السابق حسن باشا الذي هاجم إمارة بهدينان سنة 1718م، وفـرض حصاراً على عاصمتها كما ذكرنا، وبين الباشا الكبير الأمير بهرام باشا، سيئة للغاية، حيث كان والي بغداد الجديد يكن كرهاً شديداً لأمير بهدينان بهرام باشا وكان يعد له الكثير من الفتن والدسائس، وخصوصاً عندما شعر بـأن أمـير بهدينان لا يعطي لتوجيهاته أي أهتمام ولم يكن يكترث به ولا بأوامره، بل كان يراجع الباب العالي في أستانبول مباشرة لعرض الشؤون المتعلقة بإمارة بهدينان، حيث كان من المفروض أن يراجع أمير بهدينان والي بغداد حسب التشكيلات الإدارية في ذلك الوقت، لذلك اتهم والي بغداد أحمد باشا خصمه الأمير بهرام باشا بمحاولة التمرد على الدولة العثمانية والإستقلال عنها، وفي سنة 1728م، أرسل والي بغداد جيشاً كبيراً بقيادة أحد مساعديه ليقوم بحملة عسكرية ضد إمارة بهدينان، وقد وصلت القوات المهاجمة إلى أطراف عاصمة بهدينان (ئاميدي) وضربت حصاراً حولها، وقامت بالعديد من الهجمات عليها دون فائدة، وفشلت الحملة هذه المـرة أيضاً كما في السابق نتيجة لصمود أهالي (ئاميدي) وكذلك بسبب المقاومة الشرسة للقوات البهدينانية بقيادة أميرها بهرام باشا، كما وكانت لهجمات العشائر البهدينانية على قوات والي بغداد الأثر الكبير في إرباك صفوفهم وإضعاف معنوياتهم، مما دفع بمساعد والي بغداد الذي كان يقود تلك القوات إلى عقد إتفاق صلح مع الأمير بهرام باشا والإنسحاب من أراضي إمارة بهدينان.

•في سنة 1740م، قام والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي بحملة عسكرية كبيرة على إمارة بهدينان، وتعرضت العديد من قرى منطقة بهدينان إلى النهب والسلب والتدمير وخاصة تلك الواقعة في طريق هـذه القوات بإتجاه ئاميدي والتي وصلت إلى أطرافها وفرضت حـصـاراً شـديـداً عليها، وقامت هـذه القوات

المعادية بالعديد من المحاولات لإقتحام المدينة إلا أن جميعها باءت بالفشل نتيجةً للمقامة الباسلة لأهالي المدينة ولقوات الإمارة ولعشائرها، حيث تكبدت القوات المهاجمة خسائر جسيمة وكانت تلك الخسائر تزداد يوم بعد آخر نتيجةً لهجمات قوات إمارة بهدينان المتواجدة في قلاع ومدن الإمارة بالإضافة لهجمات قوات العشائر البهدينانية عليها، لذلك طلب والي الموصل عقد الصلح مع الأمير بهرام باشا وأنسحب من أراضي إمارة بهدينان راجعاً إلى الموصل.

•في سنة 1769م، وبعد هزيمة بيرام بك أبن السلطان بدر الدين بك (وهو أحد أبناء عمومة أمير إمارة بهدينان وهو من الأسرة الميرسفدينة الحاكمة لإمارة بهدينان) في معركته مع الأمير إسماعيل باشا الأول أمير إمارة بهدينان، توجه إلى والي بغداد عمر باشا (1764م – 1775م) لطلب المساعدة في أن يتولى حكم إمارة بهدينان، وبعد أن أعطى بيرام بك مبلغاً كبيراً من المال لوالي بغداد، أرسل الأخير معه جيشاً كبيراً وطلب من أمير (قه له جولان) محمد بك الباباني (1763م – 1773م)، أن يساند بيرام بك في حربه مع الأمير اسماعيل باشا الأول، كما أصدر والي بغداد فرماناً بتولي بيرام بك إمارة بهدينان (لقد كان موقف والي بغداد من هذه القضية يتماشى مع سياسة الباب العالي التي كان ينتهجها مع الإمارات الكردية وهي سياسة فرق تسد)، وبعد أن ألتقى الجيش الذي أرسل مع بيرام بك مع جيش محمد بك الباباني توجها نحو إمارة بهدينان، وقد تمكنت هذه القوات من الوصول إلى أطراف عاصمة الإمارة (ئاميدي) وأحتلال المناطق المحيطة بها وفرض حصارٍ محكم عليها أستمر لمدة خمسة أشهر، وقامت القوات المهاجمة بالعديد من المحاولات لإقتحام أسوار المدينة إلا أن جميعها باءت بالفشل، وذلك لبسالة أهالي ئاميدي ولشجاعة قوات إمارة بهدينان ولحصانة أسوار المدينة وشجاعة أميرهم، وبعد أن تدهورت الأوضاع في صفوف القوات المهاجمة وإقتراب فصل الشتاء البارد، طلب محمد بك الباباني من الأمير اسماعيل باشا الأول الصلح على الرغم من معارضة بيرام بك لذلك، وبعد انسحاب محمد بك الباباني وقواته من إمارة بهدينان هرب بيرام بك إلى الجبال وتحصن فيها.

•في سنة 1779م، أرسل والي بغداد المملوكي المدعوا عبد الباقي البغدادي إلى مدينة الموصل لكي يقوم من هناك بحملة عسكرية على إمارة بهدينان، ومن الموصل أنطلقت حملة العثمانيين وهاجمت إمارة بهدينان، وتمكنت قوات المملوكي عبد الباقي البغدادي من الوصول إلى أطراف العاصمة (ئاميدي) وفرض حصارٍ محكم عليها، وقد كان عبد الباقي البغدادي وقواته قساة لدرجة أنهم دمروا ونهبوا وأحرقوا كل شيء في طريقهم وفي المناطق التي إحتلوها وحولوها إلى خراب، وفي أطراف (ئاميدي) قاموا بالإعتداء على الناس وعملوا مذابح فيها، وأسروا من بقي حياً منهم وأرسلوهم إلى الموصل، وبعد عدة محاولات فاشلة لإحتلال عاصمة إمارة بهدينان وعدم جدوى الحصار المفروض عليها، أنسحب عبد الباقي البغدادي مع قواته عائداً إلى الموصل بعد أن نهب أموال كثيرة من أهالي المنطقة، وأثناء الإنسحاب، أحدثت قواته دماراً واسعاً في القرى، هذا ولم يسكت البهدينانيون على

تلك الإعتداءات والمذابح التي قام بها المملوكي، لذا أرسل الأمير إسماعيل باشا الأول على وجه السرعة قوة عسكرية من مختلف العشائر بقيادة كل من (سيف محمد آغا الزيباري وأحمد آغا المزوري وخالد بك البرواري) لمهاجمة القوات العثمانية المنسحبة وتمكنت القوة من الإلتفاف على القوات المنسحبة وإعتراضها عند قرية (لومانا) القريبة من مدينة (دهوك)، ونشب بين القوتين قتال عنيف أسفر عن انتصار ساحق لقوات بهدينان وتمزيق القوات المعتدية، وأثناء المعركة هاجم أحد شباب الكُرد وكان اسمه (خلف المزوري) على قائد القوات العثمانية المملوكي عبد الباقي وقتله، وقد أسترد البهدينانيون أموالهم وغنموا الكثير من الأسلحة.

•في سنة 1803م، قاد والي بغداد علي باشا (1802م – 1807م)، حملة عسكرية على الإيزديين في سنجار، وطلب من جميع أمراء الكُرد ومن والي الموصل المشاركة في الحملة العسكرية، وقد أعتذر الأمير (مراد خان بك) أمير إمارة بهدينان عن المشاركة وأرسل قوات رمزية من أجل المشاركة في تلك الحملة، حيث كانت علاقة الأخير جيدة مع (إيزيديي سنجار) بالإضافة إلى كون (إيزيديي شيخان) جزء من إمارة بهدينان ومن رعاياها، وبعد إنتهاء الحملة على الإيزديين، أصدر والي بغداد علي باشا أوامره بعزل الأمير (مرادخان باشا) من حكم إمارة بهدينان وتولى إبن عمه قباد بك مكانه وطلب من الأمير محمد السوراني والأمير عبد الرحمن الباباني التوجه بقواتهم إلى إمارة بهدينان، وتقدمت هذه القوات بإتجاه عاصمة الإمارة (ئاميدي)، وأحدثت دماراً واسعاً في القرى التي مرت بها، وبعد وصولها إلى محيط العاصمة هاجمتها قوات إمارة بهدينان، وبعد قتال عنيف تمكنت القوات الغازية من فرض حصار شديد على (ئاميدي) وقامت في الوقت نفسه، بعدة محاولات لدخولها وإقتحام أسوارها، إلا أن جميعها باءت بالفشل، وكانت العشائر البهدينانية تهاجم بين حين وآخر القوات التي تحاصر المدينة وتحدث في صفوفها خسائر فادحة، مما أجبرت القوات المعتدية على الإنسحاب بعد عدد أشهر من حصارها للعاصمة (ئاميدي)، إذ لم يعد بمقدورها البقاء أكثر نتيجة لقلة الإمدادات والمؤن ولقرب فصل الشتاء، وكان لخسائرها الفادحة التي تكبدتها نتيجة للهجمات المتكررة للعشائر عليها دور مهم في إنسحابهم.

•في سنة 1804م، ما ان علم أحمد بك (وهو من أبناء عمومة الأمير عادل باشا أمير إمارة بهدينان، وهو من الأسرة الميرسفدينة الحاكمة لإمارة بهدينان)، بسجن أخيه قباد بك الذي كان يعارض أمير بهدينان، في العمادية (ئاميدي)، بأمر من الأمير عادل باشا، بعد أسره من قبل عشيرة المزورية وتسليمه لأمير بهدينان، حتى قام بجمع أتباعه وبمساعدة عشائر الدنادية الإيزيدية بمهاجمة القرى المزورية المؤيدة للأمير عادل باشا، ونهبوا أموالهم وممتلكاتهم وقتلوا عدداً كبيراً من الناس جراء ذلك، ثم واصلوا تقدمهم بإتجاه (ئاميدي)، وأخذوا بنهب وسلب البلدات والقرى المحيطة بعاصمة الإمارة وفرضوا حصاراً عليها، وبطلب من الأمير عادل باشا هاجمت قوات العشائر البهدينانية

القريبة من العاصمة ومنهم على سبيل المثال (البرواري، المزوري، الزيباري، نيروه، وغيرهم من العشائر)، على قوات أحمد بك التي كانت تحاصر ئاميدي واشتبكت معها في قتال حامي أسفرت عن هزيمة نكراء لقوات أحمد بك وقد فر الأخير من ساحة المعركة.

•وفي سنة 1805م، وبعد الهزائم المتكررة التي لحقت بأحمد بك على يد الأمير عادل باشا أمير بهدينان، ذهب أحمد بك إلى بغداد طالباً العون من واليها علي باشا الذي كان صديقاً لأخيه قباد بك (المسجون في العمادية)، وبعد أن قدم أحمد بك مبلغاً كبيراً من المال لوالي بغداد، وعده الوالي بأن يوليه إمارة بهدينان وأن يرسل إليه قوات كبيرة من بغداد، وفي السنة نفسها، أصدر والي بغداد أوامره إلى كل من خالد باشا الباباني وعبد الرحمن الباباني وإلى أمير إمارة سوران أحمد باشا بالإنضمام إلى قوات بغداد لمساعدة أحمد بك في توليه حكم إمارة بهدينان، وكانت سياسة الدولة العثمانية في هذا المجال واضحةٌ، وذلك على أساس مبدأ «فرق تسد» كما ذكرنا، وكانت تلجأ إلى ضرب الإخوة بعضهم البعض من أجل إضعاف الكل ومن ثم القضاء عليهم فيما بعد، وإذا أمعنا التفكير في المثل الصيني الذي يقول: دع النمران يتقاتلان ثم أقضي عليهما، سندرك بأن إستراتيجية الدولة العثمانية كانت واضحة مع الإمارات الكردية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وهي إنهاء هذه الإمارات من الوجود.

وصلت قوات بغداد مع قوات خالد باشا الباباني إلى حدود إمارة بهدينان وأنضم إليهم أحمد بك بقواته، ووصلت تلك القوات إلى (ئاميدي) وفرضت حصاراً شديداً عليها، وبعد شهر تحرك عبد الرحمن باشا الباباني بقواته نحو إمارة بهدينان إلا أنه توقف في منتصف الطريق بالقرب من كركوك بإنتظار وصول قوات أحمد باشا السوراني، لكي يكملا السير معنا بإتجاه إمارة بهدينان، وما أن وصل حتى قام عبد الرحمن باشا بقتله، لوجود خلاف قديم بينهما، ولم يكمل طريقه بإتجاه إمارة بهدينان لمساندة القوات التي تحاصر العمادية (ئاميدي)، بل أخذ يهاجم قرى المنطقة ويسلبها، وما أن علم والي بغداد علي باشا بقتل أحمد باشا السوراني حتى أصدر فرمانا بعزل الأمير عبد رحمن باشا الباباني وتعين خالد باشا الباباني محله، وكان هذا الموقف في صالح أمير بهدينان حيث أنسحب خالد باشا الباباني بقواته من إمارة بهدينان، أما أحمد بك المتمرد على إمارة بهدينان لم يتمكن من البقاء داخل حدود الإمارة، حيث أرسل أمير بهدينان قواته بقيادة أخيه زبير بك لمطاردته، لذا فر أحمد بك من الإمارة ولجأ إلى بغداد، وبذلك عاد الهدوء إلى المنطقة لفترة من الزمن.

•في بداية ربيع سنة 1833م، وصل الأمير محمد باشا الرواندزي (ميرى كور)، أمير إمارة سوران، بقواته إلى أطراف عاصمة إمارة بهدينان، وفرض حصاراً محكماً عليها، بينما تحصنت قوات بهدينان داخل المدينة، وقد حاول أمير رواندوز عدة مرات مهاجمة المدينة وإحتلالها، وأستعمل في ذلك كل المعدات الحربية المتوفرة لديه بما فيها المدافع، لكنه لم يفلح، وأستنفذ كل الخطط الحربية والحيل من أجل إقتحاد مدينة ئامدي، حتى أنه لجأ إلى حفر نفق

تحت المدينة من أجل الوصول إليها، إلا أن جميع الجهود باءت بالفشل لمناعة المدينة ولشجاعة أهلها وإصرارهم على الدفاع عن مدينتهم والوقوف إلى جانب أميرهم مهما كلفهم الأمر، وكذلك لبسالة القوات المدافعة، وكان لدور القائد العسكري عمر آغا الكتاني الأثر الكبير في ذلك الصمود، حيث كان مخلصاً لأميره إلى أبعد حد وفي الوقت نفسه كان رجلاً شهماً شجاعاً ذو موهبة عسكرية فذة ، وكان يسهر على مهامه ويتقن فن إدارة الأمور، وبفضله تمكنت (ئاميدي) من الصمود طويلاً في وجه محاولات الأمير محمد باشا الرواندزي في إحتلال المدينة، وكان القائد الكتاني يرسل دوريات إستطلاعية إلى خارج المدينة من أجل جمع المعلومات، كما وكان يشكل مجموعات قتالية صغيرة ويرسلها إلى خارج المدينة من أجل نصب الكمائن للقوات المعتدية من أجل إلحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوفهم وذلك من أجل إضعاف معنويات العدو.

وتذكر مصادر التاريخ، أنه في إحدى المرات وقع أمير سوران محمد باشا الرواندزي في كمينٍ نصبه مجموعة قتالية من قوات إمارة بهدينان في مكان خطر خارج المدينة وكاد أن يأخذ أسيراً لولا وصول قوات إمارة سوران إلى مكان الكمين في الوقت المناسب، وبذلك تم إنقاذ الأمير محمد باشا من الأسر، وفي 6 حزيران من عام 1833م وعن طريق الخيانة، سقطت مدينة (ئاميدي) بيد الأمير محمد باشا الرواندزي بعد أن تكبدت قواته خسائر فادحة قدرت بمئات القتلى والجرحى على يد أهالي المدينة، وتم أسر أمير بهدينان محمد سعيد باشا وقد عامله أمير رواندز المنتصر بإحترام، وأخذه إلى مقر قيادته العسكرية في (سەرى ئاميدي) المطلة على المنطقة، أما الأمير أسماعيل بك الثاني شقيق الأمير الأسير، فقد تمكن من الهرب مع رفاقه وعددٍ من البكوات وقادة الإمارة عن طريق نفق سري إلى منطقة نيروه وتحصن في قلعة (نيروه) الإستراتيجية في شمال شرقي ئاميدي.

•في نهاية سنة 1833م، تمكن الأمير أسماعيل بك الثاني من تحرير عاصمة إمارة بهدينان (ئاميدي) من قوات إمارة سوران بمساعدة أهالي العاصمة، وأعاد أخاه الأمير محمد سعيد باشا الأمير الشرعي إلى حكم إمارة آبائهم وأجدادهم من جديد بعد قرابة ست أشهر من وقوعها بيد قوات إمارة سوران، وما أن تأكد الأمير محمد باشا الرواندزي من تلك الأخبار حتى أوقف حملته العسكرية التي كان يقودها على إمارة بوتان ورجع إلى إمارة بهدينان من جديد حيث أعاد سيطرته على أغلب مناطق الإمارة وحاصر العاصمة (ئاميدي) من جديد حصار محكما ، وفي داخل المدينة أستعد الأهالي مع أميرهم محمد سعيد باشا وأخيه أسماعيل بك الثاني جيداً للمعركة، ولم تتمكن قوات أمير رواندز من إحراز أي تقدم في محاولاتهم من أجل إقتحام المدينة والسيطرة عليها من جديد ولم يبق لديه سوى تشديد الحصار على المدينة والإنتظار لحين يجوع أهالي لمدينة، وطال أمد الحصار ونفذ مخزون الغذاء لديهم وأنتشر الجوع والقحط والأمراض داخل المدينة، وفي النهاية أضطر أهالي المدينة إلى طلب الصلح، ووافق الأمير محمد سيعد باشا أمير رواندز على ذلك بناءاً على رغبة الأهالي،

وقد وعدهم الأخير بالعفو عنهم جميعاً وعدم محاسبتهم أو التعرض لهم في حال سلموا المدينة له، وبعد أن دخل الأمير محمد باشا مع قواته مدينة العمادية (ئاميدي) للمرة الثانية نكث بوعده مع الأهالي وقام بإلقاء القبض على مائة وخمسون شخصاً من وجهاء المدينة مع أميرهم وقتلهم جميعاً إنتقاماً لمقتل العدد نفسه من خيرة قادة قواته عندما أقتحم المدينة عن طريق الخيانة، ثم أخذ ينكل بالناس ويقسوا عليهم ويفرض عليهم غرامات قاسية، أما الأمير أسماعيل بك الثاني فقد تمكن هذه المرة أيضا من الإفلات من قوات إمارة سوران، وكان يدرك بأنه لو بقي داخل الإمارة فإن الأمير محمد باشا سوف يلاحقه مهما كلفه الثمن، لذا قصد حليفه الأمير بدرخان بك في إمارة بوتان حيث كان الأخير أيضا في حربٍ مع الأمير محمد باشا الرواندزي.

هذا وبعد أن أدرك وتأكد أمير رواندز من تذمر أهالي بهدينان منه ومن قواته وشعوره بأن أهالي إمارة بهدينان لن يقبلوا بحاكم من خارج الأسرة الميرسيفدينية، ولأنه كان بحاجة ماسة إلى أن تكون الأمور مستقرة في بهدينان، أضطر إلى التصالح مع أمراء وبكوات الأسرة الميرسيفدينية، وعفى عن الأمير أسماعيل بك الثاني وجعله حاكماً على مدينة دهوك وزاخو، بينما ظل أخوه رسول بك حاكماً على مدينة ئاميدي، وبذلك عاد الهدوء نوعاً ما إلى منطقة بهدينان (بادينان).

•سنة 1835م، تحرك والي الموصل إنجه بيرقدار بجيشه بإتجاه (ئاميدي) من أجل إحتلالها تمهيداً لحملة عسكرية كبيرة على إمارة سوران القوية، وكان يحدث دماراً وخراباً واسعاً في القرى والبلدات التي كان يمر بها إلى أن وصل إلى (ئاميدي) وفرض حصاراً عليها، والغريب أن إنجه بيرقدار قد تمكن من إحتلال المدينة بسهولة في هذه المرة على الرغم من أن الجميع كان يعلم بأن الجيش العثماني في ولايتي بغداد والموصل يمكن أن يهاجمهم في أي لحظة، ومن أسباب سقوط (ئاميدي) بسهولة بيد والي الموصل، أن الحاكم الجديد للعمادية رسول بك الرواندزي لم يكن في المدينة وقت محاصرتها حيث كان في مهمة استطلاعية في مكان آخر، وكان قد أخذ معه أغلب جنوده، أما الأمير أسماعيل بك الثاني الذي كلفه الأمير محمد باشا الرواندزي بالدفاع عن إمارة بهدينان فقد كان في قلعة (نيروه) يشرف على تحصينها، وكذلك غياب القوات المدافعة عن المدينة في وقت الهجوم عليها، وأعتقد أن عدم وجود من يقود أهالي المدينة لكي يدافعوا عن مدينتهم من أهم الأسباب التي أدت إلى سرعة سقوط المدينة بيد والي الموصل.

على أي حال سقطت ئاميدي سنة 1835م بيد الضابط العثماني (المعتوه) إنجه بيرقدار حيث قام الأخير بوضع حامية عسكرية في المدينة ورجع إلى الموصل، وما أن علم الأمير إسماعيل بك الثاني بسقوط (ئاميدي) حتى جمع ما أمكنه جمعه من القوات على وجه السرعة وعاد إلى (ئاميدي) حيث تمكن من إعادة سيطرته على المدينة بمساعدة الأهالي وتم القضاء على الحامية العثمانية فيها.

•سنة 1837م، وبحجة خروج الأمير إسماعيل باشا الثاني عن الدولة العثمانية والتمرد عليها،

جهز والي بغداد علي رضا باشا الازي جيشاً كبيراً في العدد والعتاد للقيام بحملة عسكرية على إمارة بهدينان وقادها بنفسه، وصل جيش ولاية بغداد إلى أطراف (ئاميدي) وفرض حصار عليها، وبعد العديد من المحاولات لإحتلالها، فضل الأمير أسماعيل باشا الإستسلام بدلاً من إطالت أمد الحرب والحصار وخصوصاً أن نوعية الأسلحة التي كان الجيش العثماني يستعملها في معركته على (ئاميدي) كانت متطورة وفتاكة مقارنة بأسلحة إمارة بهدينان وخصوصا سلاح المدفعية، مما تسبب بخسائر كبيرة بين الأهالي، وقد أخذ الأمير إسماعيل باشا الثاني أسيراً إلى بغداد، إلا أن والي بغداد لم يتمكن من إدارة منطقة بهدينان مركزياً من بغداد، وحدثت إضطرابات وفوضى في المنطقة نتيجة لما حدث للأمير أسماعيل باشا الثاني، حيث كان الأمير يتمتع بشعبية عظيمة بين شعبه مما أضطر والي بغداد مجبراً تحت ضغط أهالي بهدينان إلى إعادة حكم إمارة بهدينان إلى الأمير أسماعيل باشا الثاني من جديد، وعاد الأمير مرة أخرى إلى إمارته ومارس شؤون الحكم مرة أخرى وعاد الهدوء إلى المنطقة من جديد.

•سنة 1840م، شعر والي الموصل إنجه بيرقدار بأن الأمير أسماعيل باشا الثاني يهدد نفوذه في المنطقة لذا عجل بتجهيز جيش كبير وهاجم إمارة بهدينان ووصل إلى أطراف (ئاميدي) وضرب حصاراً محكماً عليها، وبدأ بالمحاولات المتكررة من أجل إجتياح القلعة الجبارة، إلا أنها فشلت في البداية لكن الفرق في ميزان القوى ونوع الأسلحة المتطورة المستعمل من قبل الجيش العثماني قياساً بما لدى الطرف الثاني، مكن والي الموصل من أحتلال المدينة في النهاية، وتمكن الأمير إسماعيل باشا الثاني من الفرار والوصول إلى حليفه الأمير بدرخان بك أمير إمارة بوتان، أما والي الموصل فقد عين أحد وجهاء مدينة (ئاميدي) المدعوا يونس آغا الكلي حاكماً للمدينة وترك حامية عسكرية في المدينة ورجع إلى الموصل، كان الحاكم الجديد مقرباً من الأمير أسماعيل باشا وكان مخلصاً لأمراء (ئاميدي) وعلى إتصال بأميره الذي كان في إمارة بوتان.

وكما ذكرنا، كان أهالي ئاميدي يطالبون بإلحاح عودة الأمير الفار، وإثر ذلك، رجع الأمير أسماعيل باشا سنة 1842م، مع قوة عسكرية من إمارة بوتان، حيث كان هنالك حلف بين أمراء الكُرد والعديد من وجهاء المنطقة، وكان يسمى بـ (الحلف المقدس)، وينص على مساعدة بعضهم البعض عند الضرورة، ودخل الأمير أسماعيل باشا ئاميدي من جديد بمساعدة الأهالي، وتمكن من القضاء على جنود الحامية العسكرية العثمانية فيها.

•سنة 1842م، علم والي الموصل بعودة خصمه العنيد الأمير أسماعيل باشا الثاني إلى ئاميدي وسيطرته على الحكم فيها، لذا جهز جيشاً كبيراً من الموصل، وتلبية لدعوة والي الموصل، وصل دعمٌ عسكري من بغداد إلى الموصل، وفي الوقت نفسه، قام والي الموصل إنجه بيرقدار بشراء ذمم بعض رؤساء العشائر في المنطقة من أجل مساعدته في القضاء على أمير بهدينان، ومن جانبه أستعد الأمير أسماعيل باشا الثاني وجهز قواته وأوكل قيادتها إلى أبن أخيه محمد بك أبن الأمير محمد سعيد باشا،

وإلتقى الجيشان البهديني والعثماني بقيادة والي الموصل إنجه بيرقدار بالقرب من قرية (أيتوت) القريبة من مدينة دهوك، حيث دارت معركة قوية وحامية بين الطرفين وسقطت أعدادٌ كبيرة من القتلى والجرحى بين الطرفين، ولم تكن المعركة متكافئة بين الطرفين حيث كان الجيش العثماني أكبر من حيث العدد والعدة ونوعية الأسلحة، وكان جيشاً نظامياً وكان التجنيد فيه إلزامياً وخصوصاً في ولاية الموصل بخلاف الجيش البهديني الذي كان جيشاً عشائرياً بالدرجة الأساس وأسلحته كانت قديمة وغير فعالة، كما وكان التنظيم فيه ضعيفاً، وبالنتيجة كانت الغلبة للجيش العثماني وإنسحاب الجيش البهديني إلى ئاميدي، وكان لوقوع قائد الجيش البهديني من فوق صهوة حصانه في بداية المعركة وموته على إثره، أن أربك قوات إمارة بهدينان في المعركة، كما وكان لخيانة بعض رؤساء العشائر دوراً فاعلاً في إنتصار الجيش العثماني في تلك المعركة.

تحصن الأمير إسماعيل باشا جيداً في عاصمته ئاميدي بإنتظار الجيش العثماني، أما والي الموصل إنجه بيرقدار فقد أخذ يفتك بالقرى والبلدات الكُردية وينهبها ويقتل كل من يصادفه من الأهالي، كان المشهد مروعاً والدمار في كل مكان، ووصل الجيش العثماني إلى أطراف ئاميدي وضرب حصاراً شديداً عليها أمتد لأربعة أشهر تخللها العديد من الهجمات الفاشلة لإحتلال المدينة، كما أن صوت المدافع لم تسكن طيلة الوقت من قبل المحاصرين وفي النهاية تيقن الأمير إسماعيل باشا بأنه لن يتمكن من الإستمرار وخصوصاً أن الأهالي كانوا يعانون الكثير من جراء الجوع والقصف المستمر، وكان والي موصل بيرقدار يرسل بين الحين والآخر رسولاً إلى الأمير يطلب منهم الإستسلام وتسليم المدينة متوعداً بضمان حفظ أرواحهم وممتلكاتهم.

وفي الخريف من سنة 1842م، وافق الأمير إسماعيل باشا على الإستسلام وتسليم مدينة ئاميدي إلى والي الموصل بشروط، ومن بينها المحافظة على أمن وسلامة المدينة وسكانها، لكن بيرقدار نكث بوعده وغدر بالمدينة وأهلها وإرتكب مجازر فيها راح ضحيتها المئات وربما الآلاف من أهالي المنطقة بعد أن غادرها الأمير إسماعيل باشا، حيث أخذ معه أقربائه وحاشيته وأموالهم وممتلكاتهم إلى بغداد للعيش فيها بعيداً عن مدينة ئاميدي ومنطقة بهدينان أرض آبائهم وأجدادهم، وحرم عليهم العودة إليها، وبذلك أسدل الستار على إمارة بهدينان وزالت من على الخريطة الجيوسياسية للمنطقة وإنتهى بذلك حكم ونفوذ أمراء وبكوات جميع مناطق ومدن وقرى وبلدات بهدينان، وأنتهى دور العمادية (ئاميدي) في لعب دور محوري في المنطقة، كما أن آغوات ورؤساء العشائر البهدينانية لم يعودوا يطيعون ويكترثون أو يهتمون بالبكوات من الأسرة الميرسيفدينية الذين حكموا منطقة بهدينان الواسعة وبنوا فيها إمارة قوية عاصمتها ئاميدي، أمتد حكمها لأكثر من ستة قرون، وبذلك أنتهى عصر الحروب الكبيرة والشاملة التي خاضتها المدينة في الماضي لتبدأ مرحلة جديدة في حياة أهالي مدينة ئاميدي وأهالي المنطقة بصورة عامة.

بسقوط إمارة بهدينان العريقة، شعر

البهدينانيون لأول مـرة بمعنى الإحـتـلال، وفقدوا هويتهم القومية ومعها طعم الحرية والإستقلال وإن كان شبه إستقلال، وأصبحت الدولة العثمانية تتدخل بصورة مباشرة في شؤون الكورد، وهذا دفعهم لأول مرة ، ومنذ عـقـود طويلة أن يـشـعـروا بثقل الإحـتـلال والإختلاف العرقي، وأحسوا بأنهم يتعرضون إلى الإضطهاد القومي بشكل واسـع ومتعمد، وأصبحت سياسة الدولة العثمانية مركزية في تلك المناطق وحل النظام الإداري المركزي الجـديـد محـل النظام الكلاسيكي الـكـوردي المتوارث، وتحولت العمادية (ئاميدي) إلى مركز قضاء والحقت إداريـا بولاية الموصل، وغاصت المنطقة بصورة عامة في سبات عميق وإهمال واضح ومتعمد من قبل ولاة الموصل المتعاقبين بناءاً على أوامر الدولة العثمانية، وكان الجهل والأمية ومعها الأمـراض والفقر منتشراً في المنطقة نتيجة لتلك السياسة وكانت تؤخذ ضرائب كبيرة من الناس وبصورة مستمرة وقاسية، وبقي الحال هكذا إلى أن أندلعت الحرب العالمية الأولى، ودخلت القوات الروسية حدود إقليم كوردستان العراق في 1916/3/7م عند مدينة خانقين وكذلك دخلت حدود كوردستان من الجهة الشمالية الشرقية ولم يكن في مقدور القوات العثمانية صدها أو إيقافها، وإنسحبت بإتجاه الجنوب، في البداية لم يقاومهم الكورد لكن سوء معاملة القوات الروسية لهم وإرتكابهم أخطاء كبيرة بحقهم دفع العشائر الكوردية ومدنها ومن بينها مدينة ئاميدي إلى التصدي لهـم، حيث أرسـلـت المدينة 200 رجـل من أبنائها للدفاع عن كوردستان، ويذكر الباحث الكوردي الدكتور طارق باشا العمادي شهادة أحد المشاركين في تلك الحملة وهو المدعوا السيد عبد المجيد مصطفى ويذكر ما يلي: «تقدمت قوة عسكرية في 1/ حزيران/ 1916، على طريق (ديـره لـوك – سـيـاري) بالإتفاق مع العشائر الكوردية في المنطقة، وكلما تقدمنا زاد عدد المقاتلين، وانقسمت القوة الى قسمين، احداها بقيادة ضابط عثماني توجهت الى قرية (بيبو) في منطقة (نـيـروه) والثانية بقيادة حسين نعمان توجهت الى جسر (حه لانكي) على نهر الزاب، وقامت بتدمير الجسر لعرقلة تقدم الجيش الروسي بإتجاه ئاميدي، ومن ثم توجهت القوة الى منطقة (سياري)، وكنا نلاقي مئات من المدنيين الفارين من المناطق المحتلة، وهنا اشتبكت قوتنا مـع قـوة استطلاعية للجيش الروسي مما دفع بالأخيرة إلى الإنسحاب بعد أن تركت عدداً من القتلى والعتاد، ومن ثم قمنا بنصب جسر على نهر الـزاب وعبرنا الى الضفة الاخرى وتقدمنا الى ان وصلنا الى قرية (شيله دزي) وهنا فوجئنا بنيران كثيفة تنصب علينا من حامية رشاشات العدو فأستشهد منا ثلاثة مقاتلين وتمكنا من اصابة العدو بخسائر في الأرواح والعتاد واجبرت القوة الروسية على الإنسحاب بعد ترك قتلاهم وكثير من الغنائم والاعتدة التي وزعت بين المقاتلين من قواتنا، وبعد هذه المعركة بقينا في المنطقة لمواجهة اي طارىء إلى أن تقدم الجيش العثماني الذي سبق اعداده في الموصل وعبر نهر الزاب ووصل يوم 20/ تموز/ 1917 الى (حه لي) وتوقف على خط (كاني ره ش – وكوزه ره ش)، ثم سمعنا بأن القوات الروسية بدأت بالإنسحاب، ونحن

بدورنا رجعنا الى مدينة ئاميدي.»

أحتل الأنكليز العراق ومعه ولاية الموصل في 1918/11/10م، ودخل القائد البريطاني مستر (لجمن) مدينة ئاميدي في نهاية سنة 1918م من دون مقاومة، وأمر بإنزال العلم العثماني، وتدهورت أوضاع مدينة ئاميدي بسبب مقتل الحاكم الأنكليزي للمدينة مستر كاردن في ليلة 31حزيران/1تموز من سنة 1919م على يد أفراد من أبناء المدينة، كما وتدهورت الأوضاع في عموم المنطقة بشكل واسع والتي كانت إمتداداً لإنتفاضة شعبية شملت عموم كوردستان في سنة 1919م.

ويبدوا أن نصيب مدينة ئاميدي (العمادية) من الإعتداءات لم يقتصر على القوى الإقليمية والدولية بل كانت هنالك هجمات لبعض العصابات التي كانت تتعاون مع المحتل، ويذكر الباشا في مقالته عن تاريخ العمادية ويقول: «ليلة -25 26/ تموز/ 1922م، هاجم 150 فرداً المدينة مستغلين خلوها من أهلها حيث كانو يقضون فصل الصيف في بساتينهم في (الروبار ومزيركا)، ما عدا القائممقام (حميد صرصر) مع بعض أفراد الشرطة والعاملين على بسط الأمان في المدينة المحصنة أصلاً وذات البوابتين (بوابة الباشا وبوابة بهدينان) والتي لا يمكن لأحد اختراقهما لكونهما مغلقتين، ولكن المهاجمين استطاعوا تسلق سفح الجبل بمساعدة العوائل المتعاونة معهم والتي كانت دورهم على السفح الشمالي من المدينة واحتلوا المناطق الستراتيجية واخذو بمهاجمة البيوت ونهب وسلب كل ما تصل إليه ايديهم، وحدثت بعض المناوشات وإطلاق النار بينهم وبين أفراد الحرس والشرطة التي جعلت الأهالي في روبار يسمعونها فأنطلق بعضهم الى نجدة المدينة واستطاعوا تسلق السفح الشمالي الشرقي للمدينة عند دار القائممقام وبمساعدة أحد المتسلقين المعروفين في المدينة، واستمرت المواجهة بين الشرطة وأهالي المدينة والمهاجمين إلى غروب الشمس وسقط بعض القتلى من الجانبين، وتم إلقاء القبض على بعضهم واضطر المعتدون إلى الإنسحاب ومغادرة المدينة بعد أن حملوا معهم جميع ما نهبوه من أموال أهالي المدينة وخاصة التجار والأغنياء منهم.

وكما هو معلوم فإن لكل مرحلة من مراحل التاريخ أساليب مختلفة للمقاومة والدفاع عن الحقوق وإستردادها من المغتصب، وخلال الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية إزداد الوعي القومي في كوردستان بشكل عام وأخذ الكورد بتكوين الجمعيات والأحزاب السياسية والحركات الوطنية لنيل حقوقهم المشروعة، وكان لأبناء ئاميدي الدور الكبير فيها، كما كان لهم دور مهم في ثورة الزعيم القومي ملا مصطفى البارزاني في الأربعينيات، كما في جمهورية مهاباد تحت قيادة البارزاني.

مع إندلاع الشرارة الأولى لثورة أيلول المجيدة في 1961/9/11م بقيادة الزعيم القومي ملا مصطفى البارزاني، سارع أبناء المدينة للإلتحاق بها وحدثت مواجهات عنيفة في المدينة نفسها وفقدت حكومة عبدالكريم قاسم السيطرة عليها مما دفعها إلى قصف المدينة بالطائرات محدثة دماراً كبيراً وتضررت الآثار القديمة في المدينة كثيراً من جراء هذا القصف، ويذكر السيد فخري محمد طه من آل

(الباشا) الئاميدي في مذكراته، أنه «بعد إنسحاب الثوار من ئاميدي، قصفت الطائرات المدينة ودمرت منزلنا والمئذنة لكونهما إحدى معقلي القتال ضد السلطة، وفي اليوم التالي دخلت القوات الحكومية إلى المدينة للتمشيط فوجدوا ظروف الطلقات في غرفة الدار وفي غرفة إخرى صورة البارزاني، فأحرقوا الدار بعد نهب كل موجوداتها وكان لعائلتنا نصيب في الشهادة وكانا طفلتين، وإصابة شقيقتي بجروح بليغه.»

أثناء ثورة أيلول المجيدة، كانت المعارك الشرسة تدور في أطراف المدينة وكانت قوات البيشمركة تحاول تحرير مدينة ئاميدي، وفي 1965/9/9م دخلت أعداد كبيرة من قوات الجيش العراقي بقيادة (الزعيم خليل) إلى المدينة مجدداً، وأنتهكت حرمات المدينة وأهانت أهلها وعذبت رجالها.

يذكر الأستاذ فخري محمد طه في مذكراته تلك الأيام حيث كان شاهداً فيها وأحد الذين رفضوا الخضوع للذل والإهانة فكان له موقف بطولي مشرف، ويقول: «عندما دخلت قوات الجيش العراقي مدينة ئاميدي أمر القائد (زعيم خليل) بجمع الأهالي أمام السراي، وخطب في الجمع بكيل الشتائم البذيئة لأهالي المدينة خصوصاً الكورد منهم ثم تناول شخص البارزاني وهو في حالة هستيرية، رفعت يدي لعدم تحملي الإهانات، فدعاني قائد القوات العراقية للحضور عنده وسألني عن أسمي ومهنتي، أجبته أسمي فخري محمد طه، معلم مدرسة، فرد علي وقال (أنعل أبوك وأبو الذي عينك)، أجبته إن حكومتك هي التي عينتني فثار غضبه وشعر بخطأ شتيمته فطعنني بسفود في بطني وأمر الجند قائلاً (أدبوه)، فأنهالوا بالضرب على جميع أنحاء جسمي دون رحمة وألقوا بي في السجن مع (150) شخصاً إضافة لـ (17) إمرأة، لكي تبدأ قصة التعذيب الوحشي الذي تعرضت له.»

نحن بدورنا سنذكر جزء من هذه القصة لكي لا ينسى ابناء هذا الجيل والأجيال القادمة ما تعرض له الكورد على يد النظام البعثي البائد وهذه القصة هي وأحدة من بين مئات الألاف من القصص المرعبة، حيث يذكر طه أنه عندما ادخلوا السجن كانت اشتباكات طاحنة تدور بين قوات البيشمركة والقوات العراقية على أطراف مدينة ئاميدي وكانت القوات العراقية تستخدم جميع انواع الأسلحة ومن بينها الطائرات، ويقول: «بعد أن خيم الظلام نقلوني إلى إسطبل البغال، والآلام تقطع أوصالي إنتحيت في زاوية فإذا بجموع الأهالي يزجون في الأسطبل معي في ظلمة الليل الدامس والقتال مستمر بلا هواده، إمتلأ الأسطبل والكل حائر بما سيحدث لهم من مصير أسود مجهول، طال الليل ونحن نتوسد روث البغال دون طعام ولا شراب ناهيك عن الآلام والبرد، ومع الخيط الأول من الصباح، أخرجونا واحداً واحداً وكان الجنود ينهالون بالضرب على من يخرج وكانو يستخدمونهم لنقل المعدات الحربية إلى ربايا قمم الجبال، وعند خروجي من الاسطبل أمر قائد الجند أن لا يلمسوني وتوجه نحوي قائلاً (أيها الأحمق كيف تتجرأ على القائد الزعيم خليل، يوم أمس) وطرحني أرضاً وطلب من الجنود إعطائه سكينة ليذبحني، وبالفعل أخرج أحدهم سكينة فوضعها على حنجرتي ماسكاً

ذقني وقال (أذبحك مثل الخروف) عندها رأيت الموت فإخذت أرفس برجلي ويدي من تحته فإذا بالسكينة تصيب يدي وجبيني وأخذت الدماء تنزف مني على جسمي ووجهي، ومن ثم أخذ الجند ينهالون علي بالضرب حتى فقدت وعي، وبعد ذلك رموني في الأسطبل مرة اخرى وأنا فاقد الوعي، فضمد السجناء جراحي برماد السكاير وبعض القطع من ملابسهم... وفي اليوم التالي عند الصباح، أخرج جميع السجناء إلى العمل الشاق وبقي معي نفرٌ قليل من بينهم طفل لا يتجاوز العشر سنوات، وفي ليلة اليوم نفسه دخل علينا مساعد القائد وناداني وين سفير الملا مشيراً لي، وكان يقصد بالملا (ملا مصطفى البارزاني)، وقادني إلى إربعة جثث من شهداء البيشمركة، وعلى ضوء الفانوس النفطي طلب مني تشخيص إبن عمي من بين الشهداء الأربعة أجبته أن لا أحد منهم فانهال يضربني، مشيراً إلى أحدهم قريب الشبه من أبن العم، قلت كلا ليس هو، فطلب مني أن أبصق عليه إن لم يكن هو كإمتحان فامتنعت عن ذلك وقلت له (أنا لا أبصق على الأحياء فكيف بالأموات) هددني رميا بالرصاص غداً صباحاً ثم أدخلني السجن ثانية، فطال ليلي ولم يغمض لي جفناً من الهم والالام ودوي رحى الحرب الضروس لم ينقطع لحظة... وبعد حرب نفسية والتهديد المستمر بالقتل، وفي اليوم الثالث من القتال الدامي بين قوات البيشمركة والجيش العراقي، جاء مساعد القائد ومعه مجموعة من الجنود وقيدوا يدي من الخلف وقادوني إلى إحدى الأعمدة الكهربائية وسط الشارع في مدخل المدينة وربطوني عليه وطلب من بعض الجنود إطلاق النار علي عند سماع الإيعاز، وقبل أن يطلقوا النار علي نادى أحد الجنود مساعد القائد وطلب منه أن يسرع إلى موقع توجيه الطائرات إلى الهدف، وهكذا تركني ومضى وبعد قليل أنصرف الجنود من تلقائهم، وبعد ذلك ادخلوني السجن مرة ثانية... وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، جاء مساعد القائد يصيح (وين سفير البارزاني) وقادني مكبلاً وقال: (سوف نرسلك هدية إلى الملا)، وكنت أفكر في الطريق كيف يكون ذلك، حتى وصلنا عند موقع دبابتين في مدخل المدينة وقد أحضروا شخصاً آخر اسمه (محمد شهاب) وكان معلم التربية الدينية وتهمته إرسال الأدوية إلى (المتمردين)، شدوا أيدينا وأرجلنا وعلقونا في ماسورة المدفع ورأسنا مقابل فوهة المدفع، وقال عند الإطلاق سوف يطير رأسكم هدية للبارزاني، وفي هذه الأثناء جاء ضابط مع بعض الجنود من الربايا وقال لآمر الدبابتين ما هذا؟ فأجابه نرسل رؤوسهم هدية للملا، فتوجه إلينا هذا الضابط ودفعنا قليلاً إلى الخلف وأبعد رؤوسنا عن فوهة المدفع وانصرف، وما هي إلا لحظات وأطلقت قذيفة وكأن أحداً نزع قلبي من صدري وأتبعتها أخرى والثالثة ولم أشعر ماذا جرى بعد ذلك، وعندما شعرت وجدت نفسي في الاسطبل ثانية وأضيفت آلام الحروق إلى سابقاتها.

هكذا مرت الأيام الخمسة العصيبة، وبعد مرور إثنان وأربعون يوماً مليئاة بالجروح والحروق في التوقيف دون معالجة، تدخل العميد المتقاعد (محمد ناجي) بواسطة قائدي الفرقة الرابعة والثانية بحكم الزمالة بينهم، وطلب نقلي إلى معسكر الغزلاني بالموصل تحت حراسة مشددة

وأنا مكبل من اليدين والرجلين والحديث يدور بين أفراد الحرس بأنه مطلوب ليرموه في معسكر الغزلاني، وصلنا المعسكر قبيل إنتهاء الدوام، وإذا بجموع الجنود يحتشدون حولنا وينادوا بعضهم (إنه سفير الملا) وسوف يرمونه هنا، ما أن وصل الخبر إلى قائد الفرقة (صديق العميد المتقاعد محمد ناجي) حتى خرج إلى الشرفة ليرى الأمر فوجد أنه أنا المعني فأخذ يشتمهم قائلاً ما طلبت إحضاره هكذا، وأمر بفك القيود وأخذني إلى غرفته وقصصت له ما جرى لي فأعتذر ثم قال تستطيع أن تذهب الآن.»

بعد الإنجاز الكبير لثورة أيلول المجيدة بإعلان بيان 11 آذار سنة 1970م، ازداد أهمية مدينة ئاميدي (العمادية) كثيراً حيث أصبحت من المراكز المهمة للثورة الكوردية، والتحق الآلاف من أبناء المدينة بصفوف قوات البيشمركة ليشاركوا في الثورة وخاصة بعد أتفاقية الجزائر بين شاه إيران والدكتاتور صدام حسين سنة 1974، والتي أدت إلى إفشال الثورة الكوردية، ودفع الشعب الكوردي وقيادتها ثمن ذلك غالياً بما فيهم أهالي ئاميدي حيث أستشهد منهم العشرات وتم نفي المئات من المشاركين في الثورة إلى وسط وجنوب العراق.

وبإندلاع الثورة الجديدة لشعبنا سنة 1975، وثورة كولان سنة 1976م، ألتحق بهما أبناء ئاميدي وتبوءوا فيهما مراكز سياسية وعسكرية متقدمة وخاصة في صفوف الحزبين الرئيسيين في كوردستان، الإتحاد الوطني الكوردستاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني، ويستمر كفاحهم وتضحياتهم في صفوف الحركة التحررية الكوردية حتى أندلعت الإنتفاضة المجيدة لشعبنا في 1991/3/5م، لتنتفض جماهير ئاميدي على حكم الطاغية صدام حسين في 1991/3/15م، ويحرروا مدينتهم من أزلامه، وبتاريخ 1991/3/31م، ترك أهالي ئاميدي مدينتهم لينضموا إلى الهجرة المليونية التي قام بها جماهير شعب كوردستان العراق، حيث رفض هذا الشعب العيش مرة اخرى تحت سيطرة حكم النظام الدكتاتوري لصدام حسين، وفضل الموت في العراء بدلاً من ذلك.

ومنذ العام 1991م ومدينة ئاميدي (العمادية) تعيش بسلام وأمان مثل شقيقاتها من مدن وبلدات وقرى إقليم كوردستان العراق، ومازال أبناء هذه المدينة العريقة والأصيلة يواصلون كفاحهم وتقدمهم في شتى مجالات الحياة ويساهمون بكل إخلاص وإقتدار في بناء وتطوير وتقدم كوردستان.

أخيراً، أقترح على حكومة إقليم كوردستان والجهات المختصة بأن يتم فتح جامعة أو أكادمية علمية في منطقة ئاميدي بأسم جامعة قبهان (على أسم المدرسة التاريخية العريقة في المنطة قباهان أو قبهان)، بالإضافة إلى مكتبة علمية كبيرة بنفس الأسم تقوم بالبحث وجمع وتوثيق وحفظ الوثائق المتعلقة بتاريخ ئاميدي وكوردستان.

المصادر:

1.أبن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر الطليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة – 1963م.

2.د. سامي بن السيد خماس الصقار: إمارة أربل في العصر العباسي ومؤرخها أبن المستوفي، دار الشواف للنشر والتوزيع، 1992م.

3.ميجور سون، رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكوردستان، ترجمة: فؤاد جميل، بغداد، 1970م.

4.الدكتور محمد فتحي الشاعر، الأكراد في عهد عماد الدين زنكي، توزيع دار المعارف، 1991م.

5.أنور المائي: أكراد في بهدينان، مطبعة خبات، دهوك، الطبعة الثانية، 1999م.

6.صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكوردية أو إمارة العمادية، مطبعة الأتحاد الجديدة، الموصل، 1952م.

7.عباس العزاوي، العمادية في العصور المختلفة، تحقيق حمدي السلفي وعبدالكريم الفندي، مطبعة وزارة الثقافة، أربيل، 1998م.

8.كاوه فريق شاوه لي ئاميدي، إمارة بادينان 1700 – 1842، دراسة سياسية إجتماعة ثقافية، مطبعة خبات، دهوك، الطبعة الأولى، 2000م.

9.أنور المائي: الفردوس المجهول، كتاب مخطوط، 1952م.

10.محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكوردية في العهد الإسلامي، ترجمة: محمد علي عوني، القاهرة، 1945م.

11.محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ كرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، مطبعة صلاح الدين، بغداد 1961م.

12.محفوظ العباسي، إمارة بهدينان العباسية، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1969م.

13.لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة شريعة، الطبعة الرابعة، 1968م.

14.محفوظ العباسي، العباسيون بعد أحتلال بغداد (1258م – 1989م)، بغداد، 1990م.

15.عمادي طارق الباشا، 2005، معركة ئيتوت الخاتمة من اجل استقلال امارة ئاميدي (بادينان)، مجلة دهوك، العددان (28, 29)، دهوك، كوردستان.

16.عمادي طارق الباشا، ئاميدي (العمادية) ابان الحرب العالمية الاولى وبداية الحكم الوطني واسطورة شعارها الخالد، www.krg.org.

17.عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ج2، 1949م.

18.د. عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (1726م – 1834م)، النجف الأشرف، 1975م.

19.ياسين بن خير الله الخطيب العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد، 1968م.

20.ياسين بن خير الله الخطيب العمري، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل، 1940م.

21.المكرياني، موجز تاريخ أمراء سوران، ترجمة محمد الملا عبد الكريم، مطبعة سليمان الأعظمي، بغداد.

22.صديق الدملوجي، اليزيدية، مطبعة الأتحاد، الموصل، 1949م.

23.د. عماد عبد السلام رؤوف، الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة (1258م – 1918م)، بغداد، 1992م.

24.عمادي طارق الباشا، ئاميدي (العمادية) - لقب الباشا - ودراسة ديموغرافية لا بد منها .www.krg.org.

25.عمادي طارق الباشا، عاصمة الامبراطورية الميدية بين أماد – ئفاهيا (ئاميدي – العمادية) واقباتان (همدان - كرمنشاه) www.krg.org .

26.د. علي تتر توفيق بك، الحياة السياسية في كوردستان 1908 – 1927، ترجمة: تحسين أبراهيم الدوسكي، مراجعة أ.د.عبد الفتاح علي البوتاني،

مطبعة خاني، دهوك، الطبعة الأولى، 2007م.

★ شعب نەيار: ينسب إليهم أسلاف الكورد من الميديين وغيرهم، وقد ورد هذ الاسم في كتاب المصرين القدماء، كما وإن التوراة ذكرهم بأسم ارام – نه يارام، ويؤكد الباحث د. طارق باشا العمادي بأن هذه الكلمة كوردية ومكونة من مقطعين (نـه) ويعني لا و(يـار) بمعنى حبيب او صديق اي الشعب الذي لا صديق له أو المعزول عن الشعوب المجاورة، وان هؤلاء هم سلف الميديين وكانو يعيشون في كوردستان الأوسـط، وكان لهم الكثير من القوة والسلطان وكان لهم شأن ظاهر في القاء الرعب والهيبة في قلوب جميع الشعوب المجاورة له، وهو الشعب الذي حمل اسم الكورد فيما بعد.